الوصايا الشاذلية

للإمام العلامة الحجة

أبي الحسن علي بن عبد اللّه الشاذلـي المالكـي

المتوفى سنة: 656هـ، رحمه اللّه تعالى

راجعها وقدم لها

فضيلة المربي الفقيه الشيخ محمد صالح الحموي

رحمه اللّه تعالـى رحمة واسعة

جمع وإعداد

محمود نعيم المدني

بسم الله الرحمن الرحيم

وعليه أتوكل وبه أستعين

تقديم العارف بالله تعالى المربي الشيخ محمد صالح الحموي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين المجاهدين في سبيل الله وإعلاء كلمة الدين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛ فقد أطلعني الشاب المهذب المحبُّ السيد **محمود بن نعيم المدني** المحترم الذي حققه وعلق عليه عن حياة **سيدنا الشيخ أبي الحسن شيخ الطريقة الشاذلية** قدس الله تعالى سره ونفعنا ببركاته وتجلياته، فوجدت أن هذه الرسالة مبسطة ونافعة ومفيدة، وموافقة للقرآن الكريم والسنة الشريفة.

نرجو الله تعالى؛ أن ينفع بها كل من يقرأها ويسيرَ على سير هؤلاء الأئمة الأعلام؛ لينال شرف صحبتهم، ويجمعنا بهم تحت لواء سيد المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

يوم الإثنين الرابع من شباط 2008م. الموافق 27 شهر الله المحرم 1429هـ

خادم الطريقة الشاذلية العلية

محمد صالح بن محمد الحموي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان واهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

وبعد؛ فهذه مجموعة من وصايا الإمام الحجة **أبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي الحسني شيخ الطريقة الشاذلية** رحمه الله تعالى، جمعتها من أوثق الكتب التي اهتمت بجمع وصاياه رضي الله عنه، والتزمت فيها الواضح الميسر؛ ليكون النفع أعم، كما أرشدني إلى ذلك سيدي فضيلة العالم الرباني القدوة المربي الشيخ **محمد صالح الحموي الدمشقي الحنفي الشاذلي**، رحمه الله تعالى وجعله في عليين.

وعلقت عليها من الكتاب والسنة وأقوال الصالحين بما يناسبها، وقدمت بين يديها بمقدمة مهمة عن التصوف، كما ترجمت لسيدي الإمام أبي الحسن (صاحب الوصايا) رحمه الله تعالى ترجمة موجزة محررة مفيدة.

ختاماً؛ أسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا العمل ويجعل فيه النفع العميم، وأن يكرمني والمسلمين جميعاً بالتوفيق والسداد والرشد والإخلاص والقبول وتمام النعم وحسن الختام، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه: الفقير إلى عفو ربه

أبو الهدى محمود بن نعيم المدني

مقدمة عن التصوف

تعريفه ونشأته:

يقول الإمام الرباني المفسر أحمد بن عجيبة رحمه الله تعالى في «معراج التشوُّف» [ص: 4]: (**التصوف**: علم يُعرف به كيفية السلوك إلى حضرة مَلِكِ الملوك، وتصفية البواطن من الرذائل، وتحليتها بأنواع الفضائل).

لا شك أن الصحابة الكرام رضي الله عنهم يمثلون الإسلام بجميع جوانبه ومناحيه الشاملة، فقد ربّاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمهم وأرشدهم وبشرهم وأنذرهم، فنهلوا من معين النبوة ما نهلوا، وكان إسلامهم حقيقياً متكاملاً قولاً وعملاً.

ولما أكرم الله تعالى الأمة الإسلامية بالفتوحات العظيمة التي حصلت زمن الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم ومن بعدهم، عاش كثير من المسلمين حياة الرخاء والراحة، فشبعت النفوس، وبدأت تتقاعس عن أداء الطاعات

والقربات، وفسدت عند ذلك القلوب وغفلت عن الله عز وجل.

نظر العلماء العاملون في كتاب الله عز وجل فوجدوا قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [سورة الشمس 9 - 10]، وتحققوا أن الفلاح المنشود مرتبط بتزكية النفوس.

عمل بعد ذلك العلماء الربانيون على تزكية النفوس وتطهير القلوب، وأسسوا لذلك المجالس والمدارس، وصنفوا الكتب، فنفع الله تعالى بهم نفع عميماً، وصلت ثمارهم شرق الأرض وغربها.

وأطلق على المتخصصين في هذا المجال اسم: (الصوفية)، كما سمي العلم اسم: (علم التصوف).

هل السلوك في التصوف واجب؟

إذا كان التصوف هو علم تزكية النفس؛ فإن السلوك فيه واجب بلا شك، فقد أمرنا الله تعالى بتزكية نفوسنا في أكثر من موضع من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى﴾ [سورة طه: 76].

هل الصوفية مبتدعون؟

إن الباحث المنصف؛ ليصل بمجرد اطلاع بسيط إلى التزام أئمة التصوف بموازين الكتاب والسنة، وتمسكهم بالحدود الشرعية، وأقوال أئمة التصوف في ذلك كثيرة جداً، ومن ذلك ما قاله إمام أهل التصوف الجنيد البغدادي رحمه الله تعالى: (من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر؛ لأن عِلْمَنَا هذا مقيدٌ بالكتاب والسنة) [1].

---

(1) انظر: «الرسالة القشيرية» [1/ 19].

لماذا حورب التصوف؟

عندما رجعت إلى ما قيل وكتب ضد التصوف.. وجدتُ: أن التصوف حورب لسببين اثنين: عدم فهم حقيقة التصوف الفهم الصحيح، وكثرة الدخلاء والأدعياء عليه؛ الذين غيروا وبدلوا ثم انتسبوا إلى التصوف.

خلاصة التعريف بالتصوف:

التصوف: عِلمٌ نصل من خلال العمل به إلى صفاء القلوب الذي تنتجه تزكية النفس، ويقوم على التحلي بالأخلاق الحميدة والتخلي عن الصفات الذميمة.

فإن ادعى التصوفَ أحدٌ؛ وضعنا أعماله في ميزان الكتاب والسنة، فما وافقهما فهو على الرأس والعين، وإلا؛ فعمله مردود عليه، والصوفية منه بريئون.

ترجمة الإمام أبي الحسن الشاذلي رحمه الله

اسمه ونسبه:

هو الإمام الحجة أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذُلي الحسني المالكي، وينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما.

ولادته ونشأته:

ولد في مدينة (سبتة) في تونس سنة: (593هـ)، ونشأ ذكياً فطناً سريع البديهة، ذا حافظة قوية وعقل مستنير وقلب فياض؛ مما جعله محط أنظار العلماء والأولياء.

طلبه للعلم:

بدأ طلبه للعلم في المكان الذي ولد ونشأ فيه؛ فحفظ القرآن الكريم، ثم بدأ بحفظ المتون؛ فحفظ: «الموطأ»، و«الشفا»، و«الرسالة القشيرية»، وغيرها...

كما قرأ «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، و«إحياء علوم الدين»، و«قوت القلوب»، وغيرها...

ثم انتقل إلى المدن المجاورة طالباً للعلم، إلى أن غدا للناس عالماً؛ يحل عويصات المسائل ويشرح دقائق الأمور، وهو ما زال في مطلع شبابه رضي الله عنه.

سلوكه في التصوف:

ولما أكرمه الله تعالى بإتقان العلوم؛ وجد نفسه بحاجة إلى صحبة عالم عامل صادق الحال والقال، يستفيد من علمه وحاله، فجمعه الله تعالى بعد بحث طويل بالإمام الرباني المربي عبد السلام بن مشيش رحمه الله تعالى.

فصحبه مدة استفاد فيها من حاله وقاله، ولما وجده شيخه قد زكت نفسه وصفا قلبه؛ أذن له بالتربية والإرشاد، فكان خير خلف لخير سلف رضي الله عنه.

رحلاته العلمية:

بدأ رحلاته إلى شاذُلة في إفريقية (وإليها يُنسب)، ثم رحل إلى (تونس) فعمَّ نفعه هناك، وابتلي فيها بالحساد الحاقدين، ثم رحل إلى مصر واستقر في السكندرية، فهدى

الله على يديه خلقاً كثيراً، كما شارك هناك في معركة المنصورة ضد الصليبيين.

أشهر تلاميذه:

تتلمذ عليه الآلاف من العلماء وطلاب العلم، أشهرهم خليفته الإمام الفقيه أبو العباس أحمد المرسي المالكي رحمه الله تعالى، والإمام سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى، والإمام الحجة ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى، والإمام الحافظ عبد العظيم المنذري رحمه الله تعالى، وغيرهم كثير...

مؤلفاته:

لم يشغل نفسه بالتأليف والتصنيف، بل صرف وقته وطاقته في تربية طلابه وأحبابه، لكنه ترك لنا بعض مختصرات نافعة:

- منها: «رسالة الأمين في الوصول إلى رب العالمين» مطبوع.
- ومنها: «الاختصاص من الفوائد القرآنية والخواص» مخطوط.

- ومنها: «نزهة القلوب وبغية المطلوب» مخطوط.

- ومنهـا: «وصـية» جمـع فيهـا حكمـه، (قيـد التحقيـق والإخراج).

- وله وصية جامعة؛ ذكرها الإمام المحدث الفقيه كمال الدين محمد بن موسى الدَّميري الشافعي المصري رحمه الله تعالى في كتابه النافع: «حياة الحيوان الكبرى».

أوصافه:

كان رحمه الله تعالى نحيف الجسم، طويل القامة، خفيف العارضين، طويل أصابع اليدين، فصيح اللسان، عذب الكلام.

وقد فقد بصره آخر حياته، ولم يكن ضريراً منذ ولادته كما توهم ذلك بعض المؤلفين جزاهم الله خيراً.

منهجه ودعوته:

أستطيع أن أقول _ بعد رحلة علمية طويلة استمرت سنوات عديدة، درست فيها عشرات الكتب التي تتحدث عن حياة أو وصايا الإمام أبي الحسن رحمه الله تعالى _ وبكل

إنصاف وصدق: إن الإمام أبا الحسن رحمه الله تعالى قد تميز عن الكثيرين من أئمة عصره والعصور الأخرى بمزايا جليلة منحه الله تعالى إياها وأكرمه بها، جعلت طريقته ودعوته الأكثر انتشاراً على وجه الأرض.

- فمن ذلك: أنه كان يشترط طلب العلم مع السلوك، ولا يقبل مريداً لا يطلب العلم، ولا يأذن بالتربية والإرشاد إلا للعلماء.

- ومن ذلك: أنه كان يحث على الحرفة والاكتساب، ويرفض التواكل والخمول، فقد كان يردد على مسامع طلابه قول سيدنا رسول الله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى»، وكان يقول لهم: (ليجعل أحدكم إبرته سبحته)، ويقول أيضاً: (من اكتسب وقام بفرائض ربه تعالى عليه؛ فقد كملت مجاهداته).

- ومن ذلك: أنه كان يرفض المبالغات والشطحات، ويحض على ترك القصص الخيالية، واستبدالها بالقصص القرآنية والسيرة النبوية، ويعتمد في مجالسه على تدبر القرآن الكريم ونشر السنن والآثار، بل وكان تفسير القرآن

الكـريم هـو العمـود الفقـري في مجالسـه وإرشـاداته، وقـد حضـه دروسـه في التفسـير جمـع مـن أعـلام علمـاء عصـره، ولهم في ذلك قصص مشهورة.

- ومـن ذلـك: أنـه كان يجعـل منطلـق دعوتـه اتبـاع السـنة وتـرك البدعـة، ويـرفض البـدع ويشـنع على أصحابها، فقـد كان يقـول: (من دعـا إلى الله تعـالى بغير ما دعـا بـه رسـول الله ﷺ فهو بِدْعِي) .

وفاته:

توفي في طريقه إلى الحج في صحراء عَيْذاب في مصر ودفن فيها سنة: (656هـ)، تاركاً من بعده نهضة علمية وتربوية عريقة فريدة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجزاه عن المسلمين بما هو أهله.

يقول رحمه الله تعالى:

[السلوك في طريق الآخرة]

عليك أيها السالك لطريق الآخرة بتحصيل ما أمرت به في ظاهرك، فإذا فعلت ذلك؛ فاجلس على بساط المراقبة[1]، وخذ بتخليص باطنك، حتى لا يبقى فيه شيء عنه نهاك.

وأعط الحد حقه، وأقلل النظر إلى ظاهرك إن أردت فتح باطنك لأسرار ملكوت ربك.

[أشرف الأحوال]

أشرف أحوالك: أن تحمل نفسك على الجِد والاجتهاد[2] إما في ظاهرك وإما في باطنك؛ طمعاً أن تدفع بذلك عن نفسك.

---

(1) قال ابن عطاء الآدمي: أفضل الطاعات: مراقبة الحق تعالى على دوام الأوقات. « إحياء علوم الدين » (2/ 1764)

(2) قال رسول الله ﷺ : « الكيِّس.. من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » رواه الترمذي برقم: (2647).

وما أسوأ حالك إذا كابدت أن تدفع عنها ما أراد الله أن يدفعه عنك! فكيف إذا نازعته فيما لا يريد دفعه عنك؟

وأقل ما في هذا الباب دعاوى الشرك بأنك قد غَلَبْتَ وما غلبتَ، فإن كنت غالباً فكن حيث شئتَ، ولن تكونَ حيث شئتَ أبداً، فدل اجتهادك على عظيم جهلك بأفعال الله تعالى.

وما أقبح عابداً جاهلاً! أو عالماً فاسقاً! فما أدري بأي الوصفين: أبالجهل؟ أم بالفسق؟ أم بهما جميعاً؟

نعوذ بالله من تعطيل النفس عن المجاهدات، ومن خلو القلب عن المشاهدات؛ إذ التعطيل ينفي الشرع، والخلو ينفي التوحيد، وحاكِمُ الشرعِ جاء بهما جميعاً.

فادرج عن منازعة ربك تكن موحِّداً، واعمل بأركان الشرع تكن سُنِّيّاً، واجمع بنيهما بعين التأليف تكن محقِّقاً .

[الزم باب الله عزوجل]

عليك بالتوكل والرضا والتسليم، فإن لم تجد السبيل إليه؛ فعليك بالدعاء[1].

[طريق الوصول إلى الله تعالى]

إذا أردت الوصول إلى الله؛ فاستعن بالله، واجلس على بساط الصدق، واربط قلبك بالعبودية المَحْضَة على سبيل المعرفة[2]، ولازم الذكر[3] والمراقبة، والاستغفار والتوبة[4].

---

(1) قال رسول الله ﷺ : « إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني » رواه البخاري برقم: (7405)، ومسلم برقم: (6981).

(2) قال رسول الله ﷺ : « وإذا استعنت.. فاستعن بالله » رواه الترمذي برقم: (2706).

(3) جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله؛ إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به. فقال ﷺ : « لا يزال لسانك رطباً بذكر الله » رواه الترمذي برقم: (3702).

(4) قال رسول الله ﷺ : « والله؛ لَلَّـهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة » رواه البخاري برقم: (6309)، ومسلم برقم: (7137). والفلاة: الصحراء.

[العلوم]

كل علم تسبق إليك فيه الخواطر، وتتبعها الصور، وتميل إليها النفس، وتتلذذ بها الطبيعة.. فارم به وإن كان حقاً، وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله ﷺ ، واقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده، وبالهداة الأئمة المبرئين من الهوى ومتابعته؛ تسلمْ من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوى الكاذبة المُضِلّة عن الهدى وحقائقه.

[الكونُ ملكُه]

ما من نَفَسٍ من أنفاسك إلا والله متوليه، مستسلماً كنت أو منازعاً.

[كيف نغلق أبواب الشيطان ؟]

من أراد أن لا يكون للشيطان عليه سبيل؛ فليصحح الإيمان والتوكل[1] والعبودية لله على بساط الفقر واللّجأ والاستعاذة بالله.

---

(1) قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ سورة الطلاق الآية: (3).

فتصحيح الإيمان: بالشكر على النعماء، والصبر على البلاء، والرضى بالقضاء[1].

وصحة التوكل: بهِجران النفس، ونسيان الخلق، والتعلق بالمِلِك الحق، وملازمة الذكر، وإذا عارضك عارِض يصُدك عن الله.. فاثبُت.

وتصحيح العبودية: بملازمة الفقر والعجز والضعف والذل لله.

وأضدادُها أوصافُ الربوبية، فما لك ولها؟! فلازم أوصافك، وتعلق بأوصاف الله؛ فقل من بساط الفقر الحقيقي: (يا غني من للفقير غيرك)، ومن بساط الضعف: (يا قوي من للضعيف غيرك)، ومن بساط العجز: (يا قادر من للعاجز غيرك)، ومن بساط الذل: (يا عزيز من للذليل غيرك)؛ تجد الإجابة كأنها طوع يدك.

---

(1) قال رسول الله ﷺ يوماً لأصحابه: «ما أنتم؟». فقال عمر رضي الله عنه: (مؤمنون). فقال ﷺ : «ما علامة إيمانكم؟». قال: (نصبر على البلاء، ونشكر عند الرخاء، ونرضى بمواقع القضاء). فقال ﷺ : «مؤمنون وربِّ الكعبة» رواه الطبراني في «الأوسط» (4/ 266).

[حقيقة الوسواس]

قرأتُ سورة الإخلاص والمعوِّذتين ذات ليلة، فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [سورة الناس: 4]، رأيت بعد ذلك يقال لي: (شر الوسواس: وسواس يدخل بينك وبين حبيبك، يذكِّرُك أفعالَك السيئة وينسيك ألطافه الحسنة، ويكبر لديك ذات الشمال ويقلل عندك ذات اليمين؛ ليعدل بك عن حسن الظن بالله وكرمه، إلى سوء الظن بالله تعالى ورسوله ﷺ).

فاحذر هذا الباب؛ فقد أُخِذَ منه خلق كثير من العُبّاد والزهاد وأهل الورع والاجتهاد.

[مدار هذا الأمر]

مدار هذا الأمر على أربعة: كن شاكراً لأنعم الله إذا وجدْت، وراضياً عن الله إذا فقدت، وباذلاً للفضل إذا رُزقت، وأسلم وجهك إلى الله في كل أمر قَصَدْت.

ولا تكن عابداً مكايداً، ولا زاهداً معانداً، ولا عاصياً متمرداً، ولا مفترياً جاحداً.

[الورع]

الورع[1]: نِعْمَ الطريق لمن عجل ميراثه وأجّل ثوابه؛ فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله، وعن الله، والقول بالله، والعمل لله وبالله على البينة الواضحة، والبصيرة الفائقة، وهم في عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون، ولا يختارون، ولا يريدون، ولا يتفكرون، ولا ينظرون، ولا ينطقون، ولا يبطشون، ولا يمشون، ولا يتحركون؛ إلا بالله ولله.

[طريق الولاية]

إذا أردت أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله تعالى: فعليك برفض الناس جملة؛ إلا من يدلك على الله بإشارة

(1) قال ﷺ: «خير دينكم الورع» رواه الحاكم (2/ 44).

صادقة وأعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سُنَّة، وأعرض عن الدنيا بالكلية[1].

ولا تكن ممن يعرض عنها ليُعطى شيئاً على ذلك، بل كن في ذلك عبداً لله.

فإن أتيت بهاتين الخصلتين _الإعراض عن الدنيا والزهد في الناس[2]_ فأقم مع الله بالمراقبة، والتزم التوبة بالرعاية والاستغفار بالإنابة ، والخضوع للأحكام بالاستقامة.

[القبض والبسط]

القبض والبسط؛ قلما يخلو العبد منهما، وهما يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار، والحقُّ عز وجل يقتضي منك العبودية فيهما.

---

(1) قال رسول الله ﷺ : «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء» رواه مسلم برقم: (7124).

(2) قال رسول الله ﷺ : «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس» رواه ابن ماجه برقم: (4241).

[دع الأمر لله تعالى]

رأيت كأني جالس مع رجل من أصحابي بين يدي أستاذي رضي الله تعالى عنه فقال لي: (لا تختر من أمرك شيئاً، واختر أن لا تختار، وفر من ذلك المختار، ومن فرارك من كل شيء إلى الله، وكل مختارات الشرع وترتيباته فهي مختار لله، ليس لك منه شيء، ولا بد لك منه، واسمع وأطع.

وهذا موضع الفقه الرباني، والعلم الإلهامي، وهو أرض علم الحقيقة المأخوذ عن الله، فافهم واقرأ: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ، وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

وعليك بالزهد في الدنيا، والتوكل على الله؛ فإن الزهد أصل في الأعمال، والتوكل رأس في الأحوال، واستهد بالله،

---

(1) سورة الحج الآية: (68).

واعتصم به في الأقوال والأفعال والأخلاق والأحوال؛ وإياك والشك والشرك والطمع والاعتراض على الله تعالى في شيء).

[حقيقة المحبة]

من أحب الله وأحب لله؛ فقد تمت ولايته، والمحب على الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه ولا مشيئة له غير مشيئته[1].

[مواهب الله تعالى]

من أَجَلِّ مواهب الله: الرضا بمواقع القضاء، والصبر عند نزول البلاء، والتوكل على الله عند الشدائد، والرجوع إليه عند النوائب.

فمن خرجت له هذه الأربع من خزائن الأعمال على بساط المجاهدة ومتابعة السنة والاقتداء بالأئمة؛ فقد صحت

(1) قال رسول الله ﷺ : «من أَحَبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله.. فقد استكمل الإيمان» رواه أبو داوود برقم: (4683).

ولايته لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [سورة المائدة: 56]، ومن خرجت له من خزائن المنن على بساط المحبة.. فقد تمت ولاية الله له بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [سورة الأعراف: 196].

ففرْقٌ بين الولايتين؛ عبد يتولى اللهَ وعبد يتولاه اللهُ.

[اترك معصية الله تعالى]

من فارق المعاصي في ظاهره، ونبذ حب الدنيا في باطنه، ولزم حفظ جوارحه ومراعاة سره؛ أتته الزوائد من ربه، ووكل به حارساً يحرسه من عنده، وجمعه في سيره، وأخذ الله بيده خفضاً ورفعاً في جميع أموره، والزوائد: العلم واليقين والمعرفة.

[الوصية الجامعة]

إن أردت خير الدنيا والآخرة، وكرامة المغفرة والمرحمة، والنجاة من النار، والدخول في الجنة؛ فأخمد معصية الله، وأحسن مجاورة أمر الله، واعتصم بالله، واستعن بالله واستغفره، وتوكل على الله، فإن الله يحب المتوكلين.

[أصل الإخلاص]

الإخلاص[1]: نور من نور الله استودعه قلب عبده المؤمن فقطعه به عن غيره، فذلك هو أصل الإخلاص الذي لا يطلع عليه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله.

[أصول الشر]

أصول الشر ستة: استبدال إرادة الخير بإرادة الشر، واستبدال التعلق بالله بالتعلق بمخلوق، واستبدال حسن

---

(1) قال رسول الله ﷺ: «من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.. فارقها والله عنه راضٍ» رواه الحاكم وصححه (3/ 167).

الظن بالله وكرمه بسوء الظن بالله ورسوله، وكُمُون الدعوى، وحب الدنيا، ومتابعة الهوى.

[حصون القلب من الشر]

حصون القلب من الشر أربعة: ارتباط القلب مع الله، وبغض الدنيا، وأن لا تنظر بعينيك إلى ما حرم الله، وأن لا تنقل قدميك حيث لا ترجو ثواب الله.

[الغنى بالحق عن الخلق]

أربعة من كن فيه.. احتاج الخلق إليه، وهو غني عن كل شيء: المحبة في الله، والغنى بالله، والصدق، واليقين. الصدق في العبودية، واليقين بأحكام الربوبية.

[خير وصية]

لا تتخذ المعصية وطناً، ولا الدنيا بالحب لها وثناً، واهجر النفس والهوى، واستنصر بالله فنعم المولى، وعليك

بالتحقيق في الإيمان والشهود في الإحسان، والتزم ذلك علماً؛ تجد المزيد حكماً، واستمطر المزيد من الله، ولا ترج شيئاً سوى الله.

[التوبة هي الطريق]

إذا ثقل الذكر على لسانك، وكثر اللغو من مقالك، وانبسطت الجوارح في شهواتك، وانسد باب الفكرة في مصالحك؛ فاعلم أن ذلك من عظيم أوزارك، أو لكمون إرادة النفاق في قلبك، وليس لك طريق إلا التوبة والإصلاح والاعتصام بالله والإخلاص في دين الله.

[اتباع لا ابتداع]

سأل أستاذيَ رجلٌ قال له: (يا سيدي؛ وَظِّفْ علي أوراداً). فغضب منه وقال له: (أَرَسُولٌ أنا فأوجب الواجبات؟ الفرائض معلومة، والمعاصي مشهورة، فكن للفرائض حافظاً وللمعاصي رافضاً، واحفظ قلبك من إرادة الدنيا وحب النساء وحب الجاه وإيثار الشهوات، واقنع من ذلك كله بما قسم الله لك.

إذا خرج لك مخرج الرضا.. فكن لله فيه شاكراً، وإذا خرج لك مخرج السخط.. فكن عنه صابراً.

وحب الله قطب تدور عليه الخيرات، وأصل جامع لأنواع الكرامات.

وحصون ذلك كله أربعة: صدق الورع، وحسن النية، وإخلاص العمل، وصحبة العلم.

ولا تتم لك هذه الجملة.. إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح).

[كرامة الصادقين]

كرامة الصادقين خمسة: دوام الذكر والطاعات بشرط الاستقامة، والزهد في الدنيا بإيثار القلة، وتجديد اليقين مع المعارضات، ووجود الوحشةِ مع أهل المنفعة والأنسِ مع أهل المغفرة، وما يظهر على الأبدان من طي الأرض والمشي على الماء ونبع الماء.. وغير ذلك مما لا يجري تحت العادة.

ولهذا الفضل أوقات وأشخاص وأماكن، فمن طلبها في غير وقتها.. فلا يعثر عليها.

وعلى الجملة: لا يعطاها من طلبها، ولا من يُحَدِّث نفسه بها واستعمل نفسه في طلبها، إنما يعطاها عبد لا يرى نفسه ولا عمله، وهو مشتغل بِمَحَاْبِّ الله، ناظر لفضل الله، يائس من نفسه وعمله.

وقد يظهر على من استقام في ظاهره؛ وإن كانت هنات النفس في باطنه.

وكل كرامة لا يصحبها الرضا من الله وعن الله والمحبة لله ومن الله.. فصاحبها مستدرج مغرور، أو ناقص، أو هالك مبتور.

[أربعة أشياء]

أربعة أشياء؛ كن بها وادخل متى شئت:

- لا تتخذ من الكافرين ولياً ولا من المؤمنين عدواً.
- وارتحل بقلبك عن الدنيا وعُدَّ نفسك في الموتى.

- واشهد لله بالوحدانية وللرسول بالرسالة وحسبك عملاً.

- وقل: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر كله وبالكلمات المتفرقة عن كلمته، لا نفرق بين أحد من رسله ونقول كما قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة: 285].

فمن كان بهذه الأربعة.. فَمِنَ الله له: أربعة في الدنيا، وأربعة في الآخرة:

الصدق في القول، والإخلاص في العمل، والرزق كالمطر، والوقاية من الشر، هذه في الدنيا.

وفي الآخرة: المغفرة العظمى، والقربة الزلفى، ودخول جنة المأوى، واللحوق بالدرجة العليا.

أربعة تفتح أربعة: الدخول على الله، والمجالسة معه، والسلام من الله، ورضوان من الله أكبر.

[فائدة الذكر]

عليك بالذكر؛ للأمن من عذاب الله في الدنيا والآخرة، وهو الموجب أيضاً لرضوان الله في الدنيا والآخرة، فتمسك به وداوم عليه؛ وهو أن تقول: (الحمد لله، وأستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله).

(الحمد لله): بإزاء المنن والإحسان من الله.

و(أستغفر الله): بإزاء ما من قِبَلِ النفس، ومن قبل العدو، وإن كان من الله خلقاً وإرادة.

و(لا حول ولا قوة إلا بالله): بإزاء عوارض ما يرد من الله عليك، وما يصدر إليه منك.

وتنبه؛ فإن السر قلما يقع في الذكر أو في الفكر أو في السكوت أو في الصمت إلا على أحد من هذه الأربع الحسنة أو السيئة. فقل: (الحمد الله، وأستغفر الله).

وإن عرض لك عارض من الله أو من نفسك لم يكن يعد خيراً أو شراً، ولست بقادر على دفعه أو جلبه؛ فقل: (لا حول ولا قوة إلا بالله).

واجمع بين هذه الأذكار الثلاثة في عموم الأوقات، وداوم عليها تجد بركتها إن شاء الله تعالى، والسلام.

[المطهرات الخمس]

عليك بالمطهرات الخمس في الأقوال، والمطهرات الخمس في الأفعال، والتبرؤِ من الحول والقوة في جميع الأحوال.

غص بعقلك إلى المعاني القائمة بالقلب، واخرج عنها وعنه إلى الرب عز وجل، واحفظ الله يحفظك، واحفظ الله تجده أمامك.

فالمطهرات الخمس في الأقوال: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله).

والمطهرات الخمس في الأفعال: الصلوات الخمس.

والتبرؤ من الحول والقوة هو قولك: (لا حول ولا قوة إلا بالله).

[العبودية]

إذا أكرم الله عبداً في حركاته وسكناته.. نصب له العبودية لله، وستر عنه حظوظ نفسه، وجعله يتقلب في عبوديته، والحظوظ عنه مستورة، مع جري ما قدر له منها، ولا يلتفت إليها، كأنه في معزل مشغول عنها.

وإذا أهان الله عبداً في حركاته وسكناته.. نصب له حظوظ نفسه، وستر عنه عبوديته، فهو يتقلب في شهواته، وعبوديته لله عنه بمعزل، وإن كان يجري عليه شيء منها في الظاهر.

أهم المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

- **كتب الحديث الشريف:** صحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داوود والترمذي والنسائي وابن ماجه، ومستدرك الحاكم، وصحيحي ابن خزيمة وابن حبان، ومعاجم الطبراني، وغيرها...

- **كتب التصوف:** الرسالة القشيرية، وقوت القلوب، وإحياء علوم الدين، ومعراج التشوف، وشروح الحكم العطائية لابن عباد وزروق والشرنوبي، وغيرها...

- **مراجع الترجمة:** شذرات الذهب لابن رجب، تاريخ الإسلام للإمام الذهبي، درة الأسرار لابن الصباغ، ولطائف المنن لابن عطاء الله السكندري، والمفاخر العلية لابن عباد، وتأييد الحقيقة للإمام جلال الدين السيوطي، والمدرسة الشاذلية للدكتور عبد الحليم محمود، وغيرها...

الفهرس

تمت بخير

والحمد لله رب العالمين